

Á Á Á Á Á Á Á
Á Á Á Ä Á Á Á
Ã ÄC D

محمد بنعتو*

يتمحور المقال حول إشكالية فهم التراث الإنساني – الهندسي و المعماري بالمدن العتيقة و حول إمكانية المحافظة عليه ، تثمينه أو تدبيره في ظل سوء فهم رمزيته و دلالته النفسية و الحضارية و الاجتماعية. و نموذج مدينة العرائش العتيقة يمثل لهذه الإشكالية. ستحاول من خلال هذا المقال أن نقيس بعد هذا الموروث الإنساني – الحضاري من خلال الهندسة العسكرية و الدينية و المعمارية لنلتمس الثابت و المتغير في هذا التراث المديني.

من الأكيد أن الجدال المنهجي حول المدينة العربية – الإسلامية و المدينة العتيقة هو غني جدا لكن في نفس الوقت عقيم لأنه يبني انطلاقا من مرجعيات مختلفة ومن رمزيات اجتماعية ليست بالضرورة متطابقة وشرعية. ذلك أنها تقوم على النقيض و التقابل و محاولات الإسقاط النظري المبالغ فيه أو المغلوط إما لعدم تمكن الأجانب و حتى بعض النخب المثقفة من ملامسة حقيقة نمط عيش المجتمع وإما لكونه يبني على الخط (tracé) و الشكل (forme) وليس على طبيعة المجتمع. و في معظم الحالات هناك جهل حقيقي لمنظومة الحياة الحضرية قبل الاستعمار. النتيجة أن المدينة الإسلامية قبل العربية و المغربية على وجه الخصوص طالها الكثير من التعيم و الإسقاط المنهج الذي لا يخلو من إيديولوجية بطبيعة الحال. فالمدينة الغربية العتيقة لها خصوصيات و رمزيات

* أستاذ، جغرافي، جامعة ابن زهر، أكادير.

ودلالات مجالية منبعها منظومة الدين و السلوکات المجتمعية و الأنماط الاقتصادية و التمثالت الذاتية حسب موقعها من السلطة وهذه مسألة جهوية. وحتى داخل كيان هذا الجسم المغربي هناك خصوصيات متعددة واستعمالات مختلفة للمجال وللمعلمة، بحيث تصبح لدينا مدن مخزنية و مدن غير مخزنية لا تقل أهمية الواحدة عن الأخرى. إذ أن التراث يضحي متعدد التعبير الهندسي، معكوس الرمزية والدلالة حسب مركز النقل الاجتماعي السادس الذي يطبع الهوية المحلية، إلا أن المدن غير المخزنية لم تزل حظها من الدراسة و التمحیص مما جعلها تقع في الظل تنتظر الإنصال بإعادة كتابة التاريخ المغربي بما يتماشى مع الواقع المحلي. جغرافيون ومؤرخون وعلماء اجتماع مدعون للعمل في هذا الإطار حتى يتتسنى لنا أن ننظر على مستوى المدينة الغربية ككل. و من هنا تأتي أهمية موضوع الثابت والمتغير في المدن العتيقة.

إن أهمية نموذج مدينة العرائش تكمن في كونها مدينة مخزنية وغير مخزنية في آن واحد. إنها مدينة مقاومة، تراثها الإنساني مهم لكن يقضي نحبه ببطء في غياب تثمين وحماية حقيقة. ففي ظل عدم مبالاة الفاعلين المحليين في الشأن العمومي والسياحي الخاص، و في ظل التعامل مع المدينة العتيقة باستراتيجية نفعية في إطار سياسات استثمار متقطعة الأوصال، تهدف خصوصة الواجهة البحرية والتعامل مع التراث كعناصر ديكور لا أقل و لا أكثر، و ليس كنتاج مجتمعي متعدد الرمزية والدلالة، ما يتذرع معه أية فعالية فيما يخص تثمين أو تدبير معقلن للمدينة باعتباره جزءاً متكاملاً و تراثاً إنسانياً. و حتى على مستوى فهم دلالات هذا التراث الغني هناك عجز حقيقي ما يفتح المجال على مصرعيه لكل من هب ودب لتأويلات خاطئة باسم الثقافة و السياحة والاستثمار.

و من هنا تأتي شرعية السؤال : كيف نشنن وندبر تراثاً إنسانياً نجهل محتواه و قيمته الحقيقية ؟ بصياغة أخرى عدم فهم قيمة التراث يكون سبباً في ارتکاب أخطاء جسيمة تتعلق بإعداد التراث. فعلی سبيل المثال، لماذا تم ترك مدينة العرائش و تم الذهاب حتى خميس الساحل لإنشاء مخطط أزرق مكلف جداً، يمكن أن يصبح "أحمرًا" إذا ما اعتربنا النتائج على مستوى التوازنات البيئية وعلى مستوى الغطاء النباتي و تثبيت الكتب الرملية ؟ ناهيك على ما يمكن أن يضاف لنتائج الطريق السيار على خميس الساحل من حيث الملكية العقارية والركود الاقتصادي ...

1. ثغر العرائش : من القلعة إلى المدينة المتوسطية المفتوحة

تطور ثغر العرائش من قلعة إلى مدينة متوسطية مفتوحة تلخص حضارة أمم متعددة أكثر من تاريخها و حجمها. فأقوام عديدة مرت بها و تركت بصمات و تاريخا مشتركا : فنيقيون و قرطاجيون و رومان و قوطيون و عرب و مسيحيون أندلسيون و مستعربون و صقليون و بر تغال و إسبان، كلها أمم أثرت و تأثرت و جعلت من العرائش معبر حضارات مختلفة كسبت هوية مجتمع طبع بخاصية الانفتاح رغم وضعيات الحصار المختلفة التي عرفتها المدينة عبر التاريخ. مع الفنقيين (1101ق.م) لعبت المدينة دور المركز التجاري لتتحول مع الرومان إلى حصن دفاعي ثم إلى معلم ديني ابتداء من 1341 ميلادية مع المسيحيين الأندلسيين. ومع الإسبان (1689-1610) أصبحت العرائش رأسا جيو-استراتيجيا للمنافسة التجارية البحرية، قبل أن تعود مع المسلمين إلى وضعية ثغر لصناعة السفن وميناء لانبعاث القرصنة-المقاومة. ظلت العرائش مفتوحة مباشرة على قاديس تجاريا واجتماعيا في السابق، واليوم من خلال الهجرة السريّة.

إن التراث العماني بالعرائش بمختلف مكوناته المادية والرمزية هو قيمة سياحية مضافة ومستدامة لما تختزله من آثار تاريخية حيكت عنها ميثولوجيا غنية غذتها أمم عديدة مرت بالعرائش وتركت أكثر من بصمة. لعل حدائق تفاح هرقل (Hesperides) وتعدد أسماء المدينة (العريش، العرائش، المليحة أو La Graciosa) تدل على عمق الحضارة المتوسطية بهذه المدينة.

2. الهندسة العسكرية أحد معالم التراث متعدد الرمزية بالعرائش

لقد تطلب بناء مدينة العرائش عدة قرون. و أنتجت كل مرحلة تراثا هندسياً متميزاً وأعطت للمدينة وظيفة مختلفة. يفترض أن استكمال عملية البناء تمت في العهد الوطاسي (القرن 15)، و حسب الناصري السلاوي¹ النواة الأصلية للمدينة توجد حول درب المرسى. سيكون للحضور البرتغالي والإسباني بالعرائش أثراً عميقاً على المدينة وعلى المجتمع العرائشي. فمن خلال الهندسة العسكرية التي استعملت بالعرائش من سنة 1415 إلى حدود سنة 1689 أكسبت المدينة خصوصيات متوسطية البعد التاريخي والحضاري. أكدت هذه الهندسة أيضاً على

¹ السلاوي، الناصري، كتاب الإستقصاء، الجزء 9 الدار البيضاء، 1956 ص.24.

أن العلاقة الغربية-الأوربية لم تكن دوماً علاقة حرب فقط بل كانت علاقة دبلوماسية واستراتيجية سياسية، جرت ربما تحت الضغط، لكن هذه الفترة تعتبر أهم مرحلة تاريخية أنتجت فيها المدينة معالها الأساسية. فالتنافسية الحضارية طبعت هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ العرائش.

1.2. **الحضور البرتغالي بالعرائش (1415-1459)، حضور استرategي بين محمد الشيخ الوطاسي وخوان II**

تم خلال المرحلة البرتغالية بناء حصن سيدة أوربا بالجنوب الشرقي للمدينة² و استعمل البرتغاليون الطبوغرافية كدلالة للتغلغل داخل التراب المغربي. بعد الخروج الإسلامي للبرتغاليين سنة 1459 إثر اتفاقية وقعتها كل من السلطان محمد الشيخ وخوان الثاني، عمل المولى الناصر (أحد أقرباء السلطان) سنة 1460 على بناء قصبة العرائش في نفس الجزء الجنوبي الشرقي للمدينة، لتمكن من احتواء حصن سيدة أوربا في ظلها و حتى تحجب رؤيته من الواجهة البحرية. كما نلاحظ، فقد استعمل المغاربة بدورهم الطبوغرافية كدلالة عن عودة العرائش كلياً لل FAG. ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب بل تم إنشاء و تعمير درب الشرفاء بالقصبة كفضاء للحكم ولعيش الأرستقراطية المغربية.³.

ملاحظة جوهيرية تستحق الوقوف عنها كون التناقض الحضاري لم يبين على الهدم والبناء على الأنماط كما سيتحقق فيما بعد، إذ كان استعمال الطبوغرافية لتأكيد الحضور الإسلامي والطبوغرافية في تسمية الأحياء (درب الشرفاء، درب المحلة، درب الكاستيو...)، و التجاور كان السمة الغالبة. فحتى بعد هزيمة وسحق البرتغاليين في معركة وادي المخازن سنة 1578، كان بناء قلعة سجناء الحرب من طرف السعديين إذ استعملت فيه الطبوغرافية والواجهة البحرية شمالاً عند مصب وادي اللkos صوب بلاد البرتغال لتثبيت دلالة الإنتحار حضارياً على البرتغال ورمزاً على البحر. كان الاستلهام الهندسي من فن العمارة العثمانية لتوسيع أبواب وشرفات قلعة السجناء يرمز بقوة لعودة الحضور الإسلامي لشمال العرائش.

² Rawd Al Quertas ; 1436 ; traduction Beumier, 1860.

³ L'Africain, Léon, *Description de l'Afrique*, Paris, Maisonneuve, traduction Epaulard ; Cf., 1956, p.15

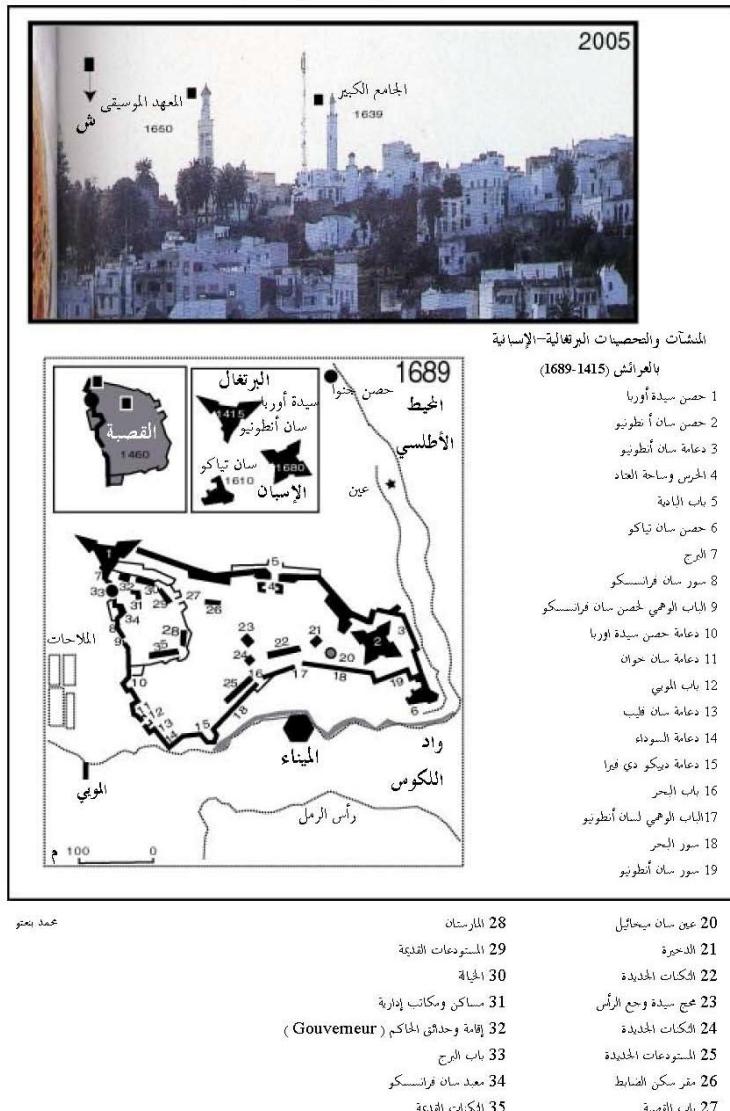
2. الحضور الإسباني بالعرائش (1610-1689)، حضور سياسي واستراتيجي بين الشيخ السعدي وفليبي III

عمل الإسبان منذ تواجدهم بالعرائش سنة 1610 إثر اتفاقية سياسية بين الشيخ السعدي وفيليب الثالث على بناء حصن سانتياغو امتداداً لقلعة السجناء المشرفة على وادي اللкос والمقابلة لقاديس. وظفت الطغرافيا في بناء هذه المعلمة العسكرية التي جسدت في مرحلة أولى الحضور الإسباني كقوة تحالف مرغوب فيها وحضارة لها قواسم مشتركة. و ما تجدر الإشارة إليه هو أن هذه المرحلة تعتبر أساسية من الناحية المعمارية بالنسبة للمدينة.

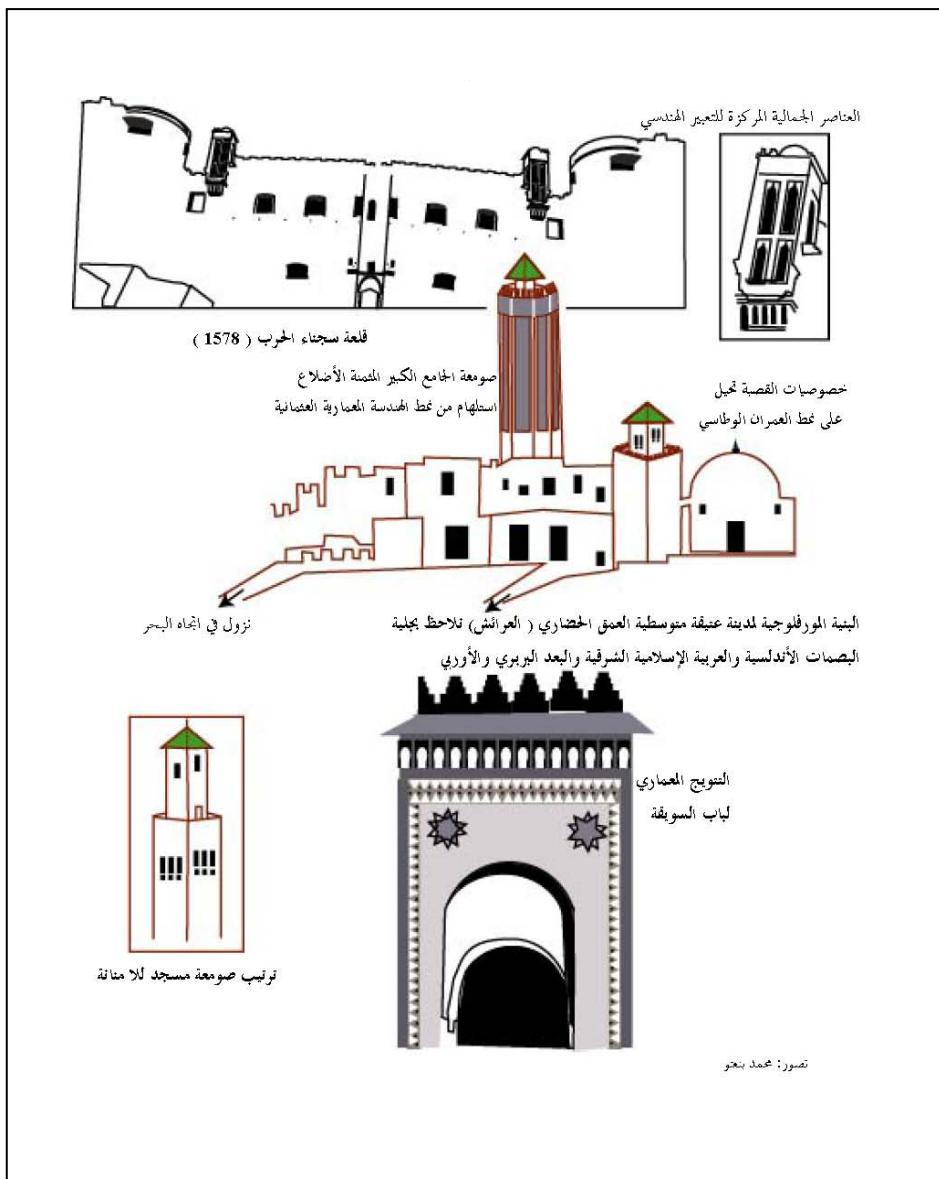
وفي مرحلة ثانية لم يكن الطموح الإسباني ليقف عند حد استراتيجيات التحالف السياسي مع المغرب. كان الهدف الإستراتيجي الرئيسي وراء تواجدهم بالعرائش هو السيطرة الفعلية على هذا الرأس الجيو-استراتيجي للتحكم في المنافسة التجارية البحرية. فمنذ سنة 1576 كان فيليب الثاني يعتقد أنه باحتلال العرائش سيتمكن من القضاء على القرصنة البحرية ما سيتمكن الإسبان من احتكار التجارة البحرية مع إفريقيا أمام الفرنسيين والبريطانيين وخاصة الهولنديين. انخرط فيليب الثالث في هذا الأفق الاستراتيجي وعمل سنة 1680 على بناء أهم حصن بالعرائش على الإطلاق ألا وهو حصن سان أنطونيو، هذه المرة على الواجهة البحرية الأطلسية الغربية كمعلمة عسكرية تفرض نفسها في النسيج المديني العتيق. إن دلالات بناء هذا الحصن بالذات كانت قوية و مباشرة إذ تعلن إسبانيا للمرة تعلن حضورها العسكري الرسمي وتتجاوز الحضور الدبلوماسي والتحالف السياسي لفائدة وضع عسكري قائم، تجسدت كل معالله في حصن سان أنطونيو بمختلف دعاماته و تحصيناته المراقبة من أسوار وأبواب وهمية وأبراج. وسيتخلى الإسبان للمرة الأولى منذ تواجدهم بالعرائش سنة 1610 عن منطق التقابل الطغرافي والاحتواء العماني لفائدة الانتشار المجالي الأفقي والحزز، غير أن التهديد المستمر الذي كانت تمثله المقاومة المغربية عن طريق القرصنة انطلاقاً من سلا إضافة إلى القلاقل السياسية التي كان يعرفها مجال الهبط والمنافسة القوية التي كانت تفرضها موانئ طنجة وتطوان التي كانت تتمتع بامتيازات جبائية مغربية قطعت ميناء العرائش عن مجاله الحيوي المتمثل في مينائي جبل طارق وقاديس. حلم فيليب الثاني "العرائش تساوي كل إفريقيا"

و طموح فيليب الثالث لم يتثن لهما التحقيق، بل رأس العرائش أصبح جد مكلف بالنسبة للإسبان حتى فيما يتعلق بتزويدهم بالمواد الضرورية كالماء والمؤن التي تأتي عن طريق البحر، مما اضطرهم للمغادرة سنة 1689.

شكل 1 : العرائش مدينة متواسطية بكل المقاييس



شكل 2 : التراث الهندسي لمدينة العرائش



3. الهندسة الدينية بالعرائش تحمل رمزيات ودلالات

سيكون للحضور الإسباني بالعرائش كذلك انعكاسات قوية على مستوى الهندسة المعمارية الدينية، بحيث سيكون في المرحلة الأولى حتى حدود بناء حصن سان أنطونيو حافزا على التنافس الحضاري والتسامح الديني في ظل استراتيجيات تقاطع المصالح.

3.1. الهندسة الدينية في ظل التنافس الحضاري وتقاطع المصالح

سيتم في فترة الحضور الإسباني بالعرائش وبالضبط سنة 1639 توسيع الجامع الكبير بالعرائش عند مدخل القصبة لتضييف للننمط المعماري الوطاسي عظمة ورقي فن العمارة العثمانى، بحيث جاءت صومعة الجامع الكبير مثمنة الأضلاع وشاشة وظفت الطغرافية (هيبة العرائش) كرمزية لتجدر الوجود والكيان الأصلي للأمة المغربية الإسلامية المتميزة مجتمعيا وحضاريا رغم الحضور الاستراتيجي الأجنبي. سيفهم الإسبان "اللعبة الحضارية" وسيندرجون في أفق التحالف الاستراتيجي الذي اعتمدوه في المرحلة الأولى وسيعملون سنة 1650 على بناء المعهد الموسيقي بالعرائش في أعلى نقطة طغرافية بالمدينة، وسيرفعون فوقه صومعة مزيج من الننمط المعماري المحلي الأصلي و الكنائسي بكيفية تشرف على صومعة الجامع الكبير. والأمر لن يقتصر على هذا الحد، بل سيجعل الإسبان على تثبيت ساعة كبيرة على صومعة المعهد موجهة صوب قاديس ترمز لعظمة إسبانيا في هذه الفترة الزمنية بالذات باعتبارها نقطة تحول وقوة بحرية وتواجد حضاري. دلالات الساعة قوية وذات رمزية أيضا.

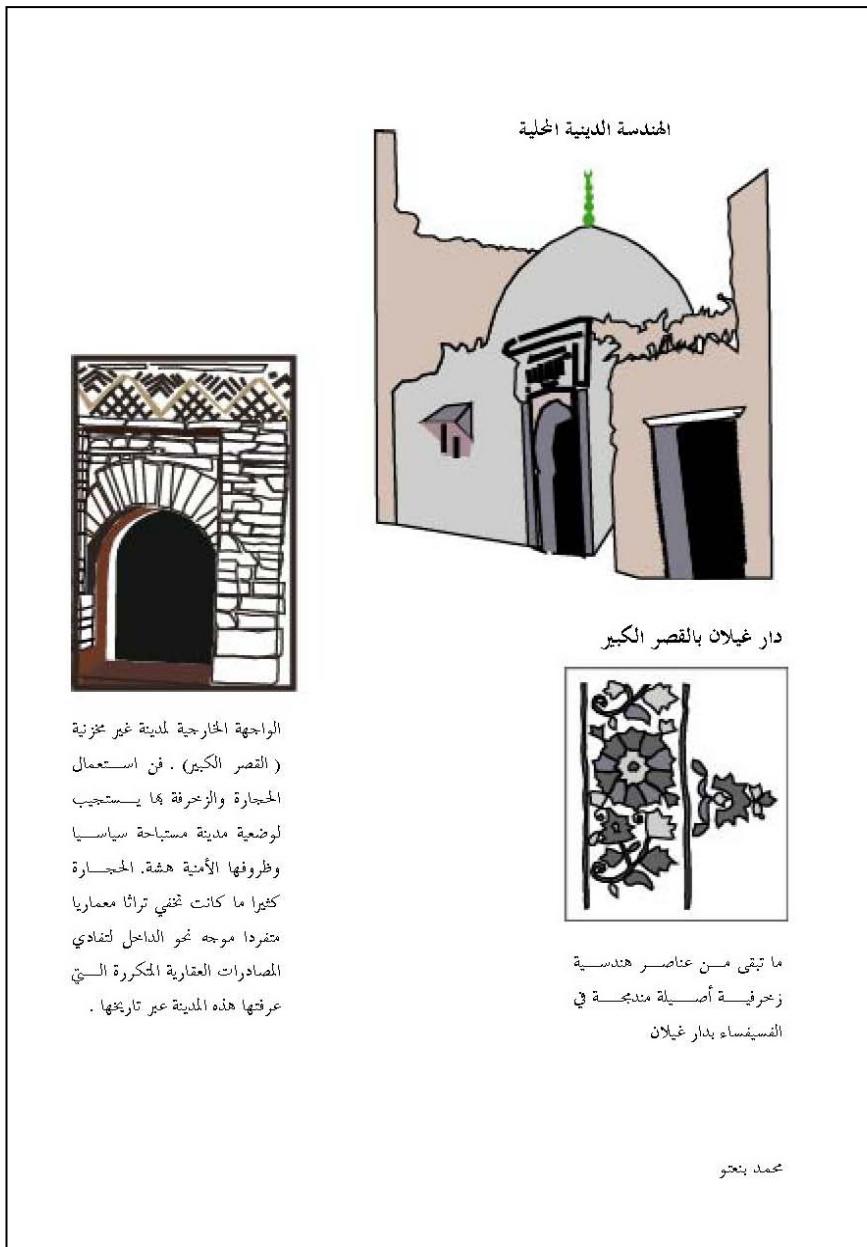
3.2. تشويه فن العمارة الدينية في عهد الاستقلال

في معالجتنا لهذه النقطة سنضطر إلى توسيع مجال بحثنا لندرج نموذج الهندسة الدينية بالقصر الكبير الذي ينخرط في نفس الأفق المحلي للعرائش، رغم اختلافاته الجوهرية كمدينة عتيقة غير مخزنية تزخر بتراث هندي ديني أصيل و متجرد مجتمعيا وحضاريا لم يستطع الإسبان اختراقه لا قبل الحماية ولا إبانها. وكذا الربط مع الهندسة الدينية بالعرائش كون هذه الأخيرة لم تمس من طرف الإسبان ولم يعرف تراثها الهندي الديني تدخلات عنيفة بعد الاستقلال. وعلى العكس من ذلك وللأسف الشديد، لم يستطع التاريخ أن يحتفظ به طالته

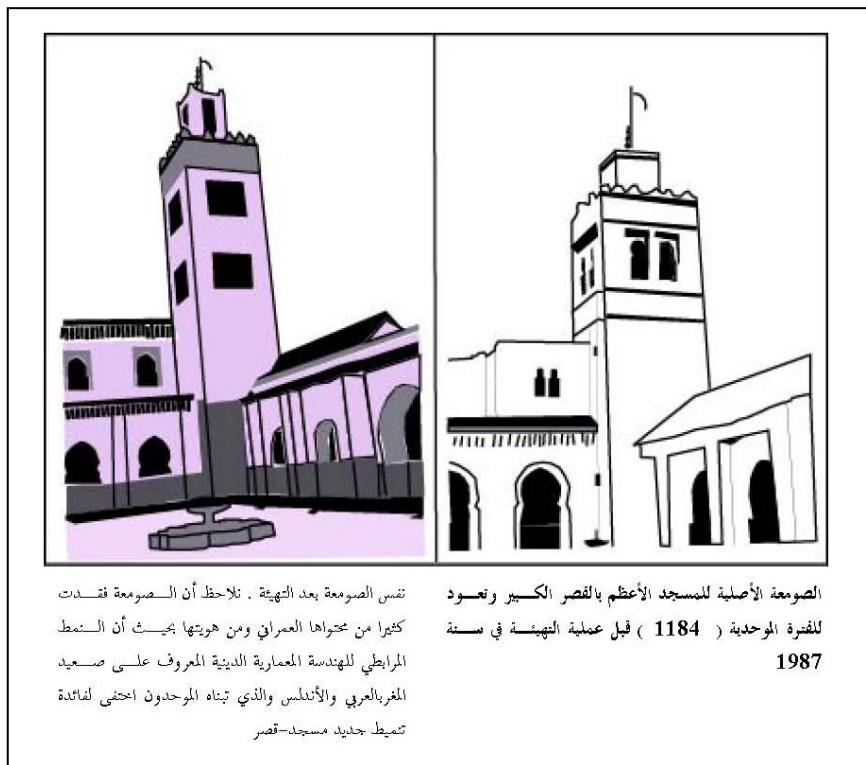
بعض التدخلات غير المندمجة التي تهدف حماية التراث وترميمه. وإذا ما أخذنا نموذج المسجد الأعظم بالقصر الكبير سنلاحظ أنه و إلى حدود 1987 كانت تعتبر هذه المعلمة التاريخية التي تعود إلى الفترة الموحدية (1184) نموذجا حيا لفن العمارة الدينية المرابطي، الذي يمتد إشعاعه إلى جل مدن المغرب العربي والأندلس، وربما أبعد من ذلك باعتباره كان مؤثرا قويا في عناصر الهندسة المعمارية الموحدية. وبعد عملية التهيئة التي خضع لها المسجد الأعظم سنة 1987 لم نعد نتعرف على الخصوصيات الأصلية التي لطالما ميزت هذه المعلمة الدينية، وذلك لفائدة تنميطات جديدة عبارة عن مسجد-قصر تفتقر للهوية وتخزل جزافا كل التاريخ وتطمس المعالم الأصلية لفن العمارة الدينية المغربي. يأخذ هنا الموروث الحضاري بعدا أيديولوجيا سياسيا هو ربما أشد وطأة مما وقع

إبان الفترة الاستعمارية.

شكل 3 : التراث المحلي الأصلي بالقصر الكبير، نموذج لتعقد و تنوع محتوى الموروث الإنساني - الهندسي للمدن العتيقة حتى على صعيد الإطار الجغرافي المحلي



شكل 4 : التراث الديني عندما يتخذ طابعا سياسيا



4. مرحلة الحماية الإسبانية : فن العمارة موروث ذو قيمة استعمالي

العمق الحضاري الإسلامي وليس العربي-الأندلسي فقط كما تود سماعه نخبة من المثقفين المغاربة والأجانب أثر بمدينة العرائش بشكل كبير على العمارة الاستعمارية.

1.4. الحماية الإسبانية الحضارية من موقع استعلاء؟

تختلف الحماية الإسبانية في شمال المغرب عن الحماية الفرنسية، فالإسبان لم يأتوا حضارياً من موقع استعلاء. فالمقاومة الريفية استلزمت حدود 1927 حتى يتمكن الإسبان من السيطرة الجزئية على الشمال المغربي. كانت إمكانياتهم المادية والعسكرية محدودة، لذا نجد سلطة الحماية تغلب منطق الإدارة على

المنطق العسكري ومنطق التغلغل السياسي-الاجتماعي عوض المواجهة. لقد اعتمد الإسبان فلسفة خاصة: "الجمع دون الخلط والتمييز دون التفريق" (Unir sans confondre et distinguer sans diviser) حتى إذا استلزم الأمر الهدم فيجب أن يكون التفسخ من الداخل تقاديا للتصعيد العسكري المكلف.⁴ و رغم هذه الاعتبارات مضافا إليها بعد الإسلامي-الأندلسي نشأت مدينة العرائش الجديدة ليس تماما كنقيض للمحتوى الهندسي الإسلامي بل امتداد له. فرغم الانتظام المعمالي الجديد المغاير على مستوى الشكل، فإن المحتوى المعماري والحضاري ظل نفسه، وقد انتظم قلب المدينة الجديدة في قوس مفتوح حول المدينة العتيقة بمرجعية هندسية معمارية تعتبر تلاقا بين بعد الفن والمهارة الإسلامية العربية الأندلسية المحاضنة من خلال وظيفتها الداخلية والخارجية وبين المحتوى الهندسي الجماعاتي (communautaire) لفن العمارة العثماني، الذي وإن كان يعكس تراتبية اجتماعية فهو هيكليا محضنا انتلاقا من أقواسه وارتفاعاته ومختلف استعمالاته الهندسية والوظيفية.

نحن إذن أمام نموذج معماري مختلف عما تتناوله الكتابات ذات المرجعية الغربية التي تعتمد في مقاربتها "الانتصار والانبهارية الأصمانية على صعيد المغرب العربي كله" و "اليوطنية البنائية ذات بعد الأيديولوجي على صعيد المغرب". لا بد إذا من التمييز ما لعمر وما لزید حتى تكون موضوعيين في مقاربتنا العلمية لنسيجنا العمراني، ولوعي بقيمة وفهمه قلبا وقالبا حتى يتسعى لنا التنظير له وبه.

2.4. التراث المعماري الإسلامي العربي الأندلسي قاعدة رمزية للتنظيم الإداري الإسباني

و على سبيل المثال لا الحصر، نجد الزخرفة وانتظام العناصر الهندسية الإسلامية العربية الأندلسية لدار المخزن الأصلية بالعرائش تؤثر عميقا في الهندسة الاستعمارية لدرجة أن الإسبان وظفوا هذه الرمزية الانتظامية كإطار تنظيمي لوجودهم الإداري بشمال المغرب كله. و ما أسموه (Comandancia)

⁴ للتوضع في هذه النقطة انظر:

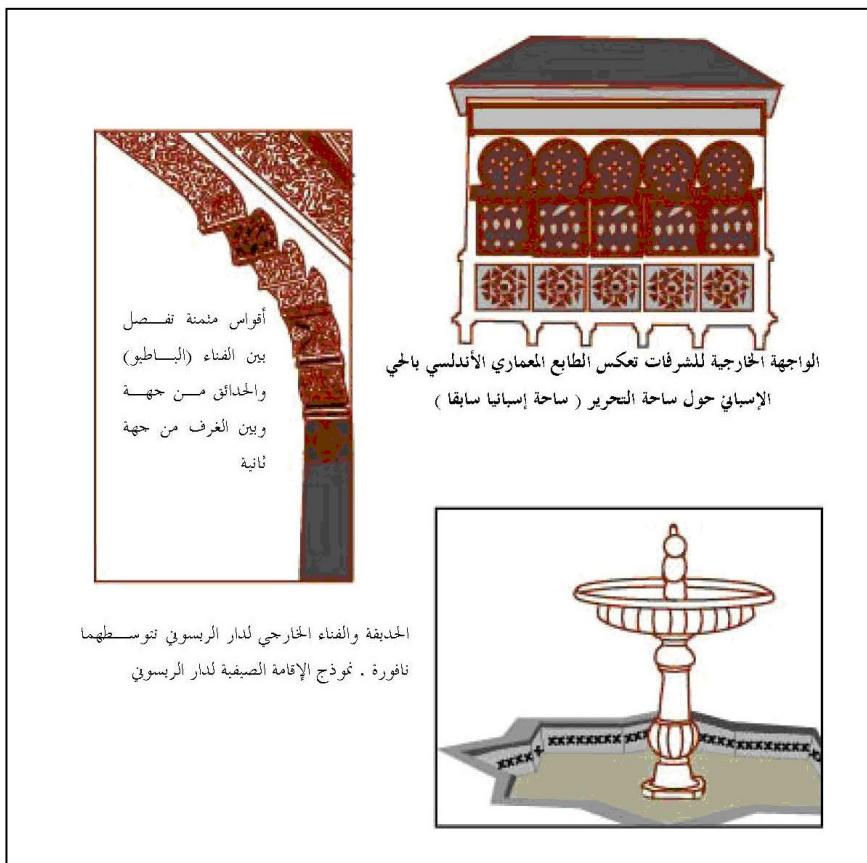
Ben Attou, M., « Le protectorat espagnol et le Nord marocain : organisation administrative et stratégie socio-économique, cas du Bas-Loukkos », in Revue *Dirassat*, n°11, Agadir, 2003, pp.41-107.

(دار المخزن الجديدة) تم تبنيها كلها بنفس العناصر الهندسية الإسلامية العربية الأندلسية انتظاماً ولواناً (الأزرق والأصفر) حول مختلف الثكنات التي تعتبر نقطة انطلاق المحاور الرئيسية بالمدينة الجديدة، أي هي رمز ودلالة للنظام والانتظام السياسي. نجد هذه العناصر في طنجة كما في قطوان وحتى في القرى التي كانت تتواجد بها ثكنات الجيش الاحتياطي الثالث (Terceo) مثل سبتة أبني جرف وثلاثاء ريسانة وغيرها.

شكل 5 : الهندسة المعمارية الإسبانية بالعرائش لم تأت من موقع استعلاء



شكل 6 : التراث الإسباني – المورسكي بالعرائش : نموذج دار الريسيوني



و إذا كان ممكنا تقدير شيء ما للحماية الإسبانية فإننا نقدر نجاحها النسبي في تثبيت الانتظام الإداري. و يمكن سر نجاحها في اقتراب الإسبان من الحضارة الإسلامية وفهمها عبر جسر الأندلس، بل واعتمادها بعدها مجتمعيا وعماريا ووظيفيا أكثر منه أمنيا. و نظرة سريعة لدار الريسيوني بالعرائش تعطي فكرة عن نمط عيش النخبة الإسبانية والمتعاملين معها أمثال الريسيوني وغيره. لم تكن الحضارة الإسلامية والمورسکية غاية في حد ذاتها، فقد تمكّن الإسبان استراتيجيا من تثبيت أمرهم الإداري والسياسي وحتي المجتمع على قبوله. وقد كانوا متشبعين أيضا بعمق المجتمع الحضاري وبعده الوظيفي ودفنه الاجتماعي حتى النخاع. كما تبنوا ذلك كنمط عيش إرادي يحمل من الرقي و الحميمية ، الشيء

الذي غدى شعورهم ونظم حياتهم وفق طابع متوسطي متفرد يتعامل مع المكان والزمان بشاعرية ملهمة تحمل من التلقائية والعفووية مقدار ما تحمله من الحكمة والتبصر وفق وثيرة خاصة لا تنبئ إلا من مدينة متوسطية البعد الحضاري أصيلة المرجعية والهوية. ولعل خير دليل يمكن أن نقدمه هنا لتفاعل المجتمع مع تراثه ولو عن طريق المستعمر هو مدى تأثير نمط العيش الإسباني المتأثر بدوره بالحضارة الإسلامية العربية الأندلسية في طباع وشخصية سكان مدن الشمال لغة وسلوكاً وثقافة ورياضة. وهي منزلة لم يستطع الاستعمار الفرنسي رغم إمكانياته الهائلة وتعميره الأصmani وهندسته الإنقاذية أن يدركها. والمثال الثاني الذي يمكن أن نورده في هذا الصدد هو امتناع وصعوبة تفكيك الهياكل الإدارية الإسبانية التي اعتمدتها الإدارة الغربية بعد الاستقلال بعضها إلى حدود عقد الثمانينات والبعض الآخر لا زال مستعصياً، والمس به قد يحدث خللاً في التوازنات السياسية الحالية. نذكر على سبيل المثال خط حدود عرباوية الذي كان يفصل بين منطقة الحماية الإسبانية ومنطقة الحماية الفرنسية الذي ما زال معتمداً لحد الآن بوصفه حدود إدارية بسيكولوجية تفصل بين مغاربة مختلفين سلوكاً وطبعاً ولغة⁵.

إن السؤال العريض الذي يفرض نفسه بإلحاح وغرابة هو: لماذا لم نفهم نحن تراثنا ونحترمه كما تعامل معه غيرنا، إذ تبنوه ووظفوه وحافظوا عليه كقيمة مضافة سياحياً ومجتمعياً؟ إذا ما أعلنا التفاؤل سنقول أن الجهل بمقوماتنا الحضارية هو سبب عدم اكتتراثنا بترااثنا باعتباره قيمة نفسية ورمزية وهوية قبل أن يكون قيمة مادية.

إذا، لا بد لنا من مصالحة حقيقية مع تراثنا وتاريخنا حتى يتسمى لنا ولأجيالنا على الخصوص حب الانتماء بشغف لحضارتنا قبل كل شيء لمعالجة أزمة الهوية التي تطالنا تدريجياً مع العولمة والهجرة السرية. كفى من إغفال البعد الإنساني في التعامل مع التراث وفق استراتيجيات نفعية-قطاعية بهدف السياحة أو بوصفه جزءاً من الثقافة (ليس كل الثقافة)، لأن ما يرمم أو ينقذ

⁵ للتعقق في هذه النقطة انظر:

Ben Attou, M., « Patrimoine foncier et processus de péri-urbanisation d'une ville frontalière : le cas de Ksar el Kébir », in « Espace-acteurs sociaux -altérité», revue Insaniyat, n° 28, CRASC, Oran, Cf., 2005, pp.5-31.

يكون ظرفياً وليس مستداماً بهدف استقطاب التمويل أكثر ما يهم التراث في حد ذاته. حان الوقت للتعامل مع المدن الغربية العتيقة انطلاقاً من محتواها و من رمزيتها ودلالتها وليس انطلاقاً مما نريد نحن أن تكون عليه إرضاءً للأخر. ليس هناك حلولاً سحرية ولا يمكن على أية حال تدبير التراث بـ GPS ولا بلوحات رقمية مهما كلف الثمن. فالوضعيات جد مختلفة ومعقدة و تتطلب الفهم والمصالحة والاعتراف قبل الدعم، و تحتاج أكثر ما يقتضي الأمر.

المصادر

- Bacaica, A.D., « Emboscada en Larache en 7 de Febrero de 1631 », Revue *Tamuda I*, n°1, 1956, pp.93-99.
- Cabanelas, D., « Cartas del sultan de Maruecos Ahmed Al Mansour à Felipe II », Revue *Andalous XXII*, 1659, pp.20-47.
- Cabanelas, D., « El problema de Larache en tiempo de Felipe II », Mistelanea de estudios arabes y hebraicos IX, 1660, pp.10-19.
- Cuevara Adolfo, L., 1933 : « Larache en el año 1966, un ataque a la plaza durante la ocupation espanola », diario el Lucus, 8 de junio, 1933.
- Cola Alberich, J., « Estudio antropologico de la region de Lukus », Tetouan, 1995, p.99.
- De Cuevas, T., « Estudio general sobre la geografia de Bajalato de Larache », Larache, 1882.
- Diaz, B., « Ocupacion espanola de Larache en 1610 », Revue *Mauritania*, 1929.
- Figueras, G.T., « Expedicion de los Portugueses al rio de Larache y fundacion de la fortaleza de la «Graciosa en Lucus (1489) », Miscelanea de estudios varios sobre Marruecos, Tetouan, 1953, pp.7-33.
- Figueras, G.T., « Intento de saqueo de Larache por los gaditanos en 1546 », *Revista Mauritania XI*, n°132, 1938
- Figueras, G.T., « Larache durante la dominacion espanola (1610-1689), *Revista de Historia militar*, ano II, n°403, 1958, p.29.
- Figueras, G.T., *Economia social de Marruecos*, Madrid ; Instituto de estudios africanos, 1955, 280p.
- Ferrer, M., « El sitio de Larache en 1689, las campanas de Jerez », Diario Larache, 5 de junio 1924.
- Guellem, B., « Una embajada espanola en Marruecos en 1579 », Revista *Mauritania XVII*, n°145, 1944, pp.53-56.

Manchemo, J., « Larache al poder de Espana », Diario el Popular 24 de mayo 1929.

Pareja Serrada, A., *Los Espanoles en Larache*, Madrid, Nuevo Mundo, 1909

Ramirez, L., « Entrega del puerto de Larache a los Espanoles en 1610 », Seminario espanol, 1855, 38p.

Vernet, J., « la embajada de Al Gassani (1690-1691) », Revista andalous XVIII, 1953.

إنسانيات

المجامعة الجزائرية في الأنثربولوجيا والعلوم الاجتماعية

الطفولة و التنشئة الاجتماعية

عائشة بن عمار · حسين بن دحمان
نورية بن غبريط · رمعون · جميلة بوطالب
إبتسام شاشو · مادلين كبوري · كونكبو
خديجة قدار · بدرة معتصم · ميمونى
حنيفة صالحى · بن شريف · زبيدة سنوسى

ذكرى
فرانسواز نافيز-بوشنانين (1949-2008). بقلم مدنى صفار-زيتون
مقالات متنوعة
مصطففى ميمونى. محاولات الإنتحار بين فرض الكيان و الهروب من الواقع
مواقف بحث
مراد رمعون و فريد مرحوم

- قراءات متقطعة
- قراءات و عروض لكتب
- عروض الأعمال الجامعية
- عرض لجلات
- تظاهرات علمية